مجلة بادر
المُحكّمة لعلم النفس الإسلامي

البحث التربوي بين المناهج الكمية والكيفية

د. بلال داوود[1]

bilaldaoud61@gmail.com

الملخص:

يستجمع البحث مجموعة من الخلاصات والنتائج المتعلقة بأهمية البحث العلمي والتربوي من خلال استعراض مناهجه الكمية والكيفية، ورصد مختلف الأدوات والتقنية العملية التي تعتمد في بناء البحث العلمي. فضلا عن اقتراح مجموعة من التوصيات الموجهة إلى المؤسسات والمراكز والإدارات المسؤولة عن البحث العلمي.

الكلمات المفتاحية:

البحث التربوي-المناهج الكمية- المناهج الكيفية

[1] أستاذ التعليم العالي محاضر مؤهل، تخصص ديدكتيك اللغات وتحليل الخطابالمركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بجهة الشرق - المغرب

Educational research between quantitative and qualitative approaches

Dr. Bilal Daoud[2]

bilaldaoud61@gmail.com

Abstract:

The research gathers a set of conclusions and results related to the importance of scientific and educational research by reviewing its quantitative and qualitative methods, and monitoring the various practical tools and techniques that are relied upon in building scientific research. In addition to proposing a set of recommendations directed to institutions, centers and departments responsible for scientific research.

Keywords:

Educational research - quantitative methods - qualitative methods

[2] Qualified higher education professor Specialization in linguistics and discourse analysis The Regional Center for Education and Training Professions in the Orient - Morocco

أهداف البحث :

-رصد مختلف المناهج التي توظف في البحوث العلمية –التربوية خاصة - بغية دراسة الظواهر الديدكتيكية والبيداغوجية والسيكولوجية فهما وتفسيرا.بتعرف المتلقي لتقنيات المنهج العلمي وضوابط البحث العلمي، ورصده لمواصفاته الكمية والكيفية من جهة، وبالتوقف عند مختلف الآليات الإجرائية كالملاحظة، والمعايشة، والاستمارة، والمقابلة، وتحليل المضمون، والروائز، ودراسة الحالة...من جهة أخرى.

-النهوض بالبحث التربوي التدخلي عبر الانخراط المباشر في صلب الممارسة المهنية والتكوينية، وتقاسم نتائج البحث والابتكار والتجديد التربوي، واستثمار التجارب الميدانية الخاصة بالبحوث التربوية.

منهج البحث:

يستند البحث إلى المنهج الوصفي الذي يصف الظاهرة البحثية من خلال إبراز مواصفات المعطى وتحليله ودراسته دراسة علمية.

أدوات البحث:

يعتمد البحث على تحليل المضمون، والتوصيف، والمقارنة، والتعريف، والاستدلال الحجاجي التحليلي التقويمي القائم على التفكير النقدي.

كيفية تحليل النتائج:

يتأسس تحليل النتائج على الملاحظة العلمية، والمقارنة، والوصف، والتحليل، والتقويم، والتكميم (توظيف معطيات كمية)، والاستنتاج.

الخلاصة والتوصيات:

يستجمع البحث مجموعة من الخلاصات والنتائج المتعلقة بأهمية البحث العلمي والتربوي من خلال استعراض مناهجه الكمية والكيفية، ورصد مختلف الأدوات والتقنية العملية التي تعتمد في بناء البحث العلمي. فضلا عن اقتراح مجموعة من التوصيات الموجهة إلى المؤسسات والمراكز والإدارات المسؤولة عن البحث العلمي.

إشكالية الدراسة:

يمكننا بلورة وصياغة مشكل الدراسة انطلاقا من التساؤلات الآتية:

ما هي آفاق البحث التربوي ورهاناته؟

ما هي أبرز الطرائق العملية لتثمين نتائج البحث التربوي ؟

ما هي سبل الرفع من القدرات في مجال البحث التربوي؟

توطئة:

يشكل البحث التربوي أداة جيدة لمعرفة الواقع التربوي وربط التكوين بالممارسة، كما يُعرف البحث التربوي بأن له منهجية علمية وتطبيقية تهدف إلى تزويد الباحث بالعُدة المنهجية النظرية والتطبيقية، وتسليحه بالمعرفة العلمية، ومساعدته على تطبيق مختلف الإجراءات العلمية التطبيقية الملموسة في المجال التربوي. وقد كان البحث التدخلي معروفا في مجال العلوم الاجتماعية التي كانت تعتمد على البحوث الميدانية والإجرائية. وقد انتقل مفهوم البحوث التدخلية إلى علوم أخرى ، مثل: علم النفس، وعلم الاجتماع النفسي، وعلوم الطب والصحة العامة، وعلوم الحياة، والأنثروبولوجيا، والإثنولوجيا، والإثنوغرافيا، والتربية والتعليم، إلخ[3]...

أولا: تعريف البحث التدخلي التربوي:

يعرف البحث التدخلي، أو البحث الإجرائي، أو البحث العملي، أو البحث الميداني (La recherche-action) ، أو البحث البراجماتي، بأنه ذلك البحث المفيد الذي يحل المشاكل البسيطة والمستعصية بإيجاد الحلول المختلفة لتجاوز المعيقات بغية تحسين البيئة المدرسية وتطويرها وتنميتها والارتقاء بها. بمعنى أن البحث التدخلي يركز على حل المشكلات التربوية والتعليمية والإدارية الممكنة، بانتقاء الحلول الملائمة والمناسبة لعلاج مختلف الآفات والمشاكل المدرسية، بإشراك المتدخلين أنفسهم في تلك المعالجة بشكل جماعي

---

[3] - Jean Dubost, 1987, *L'intervention psychosociologique*, Paris, PUF.

وتشاركي وديمقراطي قصد تجاوز العراقيل والمعيقات المفترضة قصد تحقيق التنمية المجتمعية حضريا وقرويا.

ومن ثم، يبدو أن البحث التدخلي عبارة عن عملية نظرية وتطبيقية ومُخططة ومُصممة بشكل دقيق، تكون في خدمة المبحوثين أو المتدخلين أو في صالح العينة المدروسة نفسها؛ حيث يستفيد المتدخلون من نتائج ذلك البحث التدخلي ومن نتائجه في تغيير أحوالهم، وتعديل سلوكهم، والارتقاء بأوضاعهم، وتحسين مستواهم. وبالتالي، يكون هذا البحث برجماتيا نافعا ومثمرا وهادفا وبناء في صالح المتعلم والمؤسسة التربوية والتعليمية نفسها.

وفي هذا الصدد، يقول إبراهيم تركي:

"يتسم البحث التربوي التدخلي في أغلب الأحيان بكونه نشاطا تعاونيا بين المدرسين الذين يبحثون عن حلول لمشاكلهم اليومية التي تعترضهم أثناء ممارستهم المهنية، أو يبحثون عن طرق ووسائل لتحسين أدائهم المهني والرفع من المردودية التربوية، وتحسين إنجازات المتعلمين .فعلى العكس من التعامل مع الأسس النظرية للظواهر ذات الطابع البحثي والأكاديمي، يُمكّن البحث التدخلي الممارسين والمهنيين من معالجة الإشكالات الأقرب إليهم والتأثير فيها وإحداث التغيير عليها"[4]

ومن ثم، يعتمد البحث التدخلي على مجموعة من الخطوات الإجرائية الأساسية كتحديد الموضوع وتبيان الدوافع الذاتية والموضوعية، واستكشاف الفرضية والإشكالات الرئيسة، والإشارة إلى أهمية الموضوع وأهدافه، ثم تحديد الدراسات السابقة والمنهجية المعتمدة. ثم، رصد متغيرات البحث كالمتغيرات البشرية والزمانية والمكانية والمفاهيمية وتخطيط تصميم البحث والإشارة إلى صعوباته، وشكر وتقدير.

---

[4] -إبراهيم التركي: نفسه، ص:30-31.

ثانيا: مناهج البحث التربوي وتقنياته

يشترط في الباحث التربوي ، قبل الشروع في كتابة بحثه التدخلي، أن يعرف مجمل المناهج والأدوات والتقنيات والأساليب التي تستعمل في مجال البحث العلمي. ويعني هذا أن يتمكن من المناهج المستعملة ليستثمرها في جمع المعطيات وقراءتها وتحليلها ومعالجتها بغية تحصيل النتائج العلمية التي تتسم بالثبات، والمصداقية، والموضوعية، والمعيارية.

وعليه، يمكن الحديث عن مجموعة من المناهج التي يمكن الاستهداء بها في كتابة البحث العلمي بصفة عامة، والبحثين التدخلي التربوي بصفة خاصة، منها: المنهج التجريبي، والمنهج الوصفي، والمنهج التاريخي، والمنهج المقارن، والمنهج الاجتماعي، والمنهج النفسي، والمنهج البنيوي، والمنهج الببليوغرافي، والمنهج السيميائي، والمنهج المتعدد الاختصاصات...

يتميز البحث التدخلي بكونه بحثا ميدانيا عمليا، وبحثا تطبيقيا، وبحثا تشاركيا وتعاونيا، وبحثا شاملا ومتكاملا يجمع بين التنظير والتطبيق، وبحثا براجماتيا يحقق النتائج المثمرة والمردودية النافعة في شكل اقتراحات وتوصيات ونتائج عملية، يمكن الاستفادة منها في صنع القرار الذي يتعلق بالمنظومة التربوية والتعليمية. وبالتالي، يرتبط البحث التربوي التدخلي بمجال محدد ومقيد لايتجاوز نطاق التربية والتعليم.

ومن هنا، يكتسب الباحث التدخلي تقنيات ومهارات معينة كمهارة الملاحظة، ومهارة الاكتشاف، ومهارة الافتراض، ومهارة طرح الإشكالات، ومهارة التجريب، ومهارة التدخل، ومهارة فهم الأسباب المؤثرة، ومهارة التحليل، ومهارة التوصيف، ومهارة التصنيف، ومهارة التحليل، ومهارة الاستنتاج، ومهارة التقويم، ومهارة التوجيه، ومهارة المعالجة، ومهارة التعديل، ومهارة النقد أو التفكير النقدي إلخ...

ويضيف الباحث إبراهيم تركي أن البحوث التدخلية" تدمج وقفات تأملية بعين متأملة ناقدة؛ ذلك أنها تدفعهم إلى فحص ديناميات الممارسات الصفية، وتأمل أفعال وتفاعلات المتعلمين، وتمحيص المهام المعتادة، وعندما يكتسبون فهما جديدا حول سلوكياتهم وسلوكيات تلامذتهم من خلال البحث التدخلي،

تزداد ثقتهم بأنفسهم، خاصة عندما يتخذون قرارات مناسبة ومستندة إلى معلومات وبيانات عما ينبغي تغييره أو ما ينبغي الاحتفاظ به، وربط المعرفة السابقة بالمعلومات الجديدة، والتعلم من الخبرة والتجربة المكتسبة عن وعي ومعرفة علمية، لكي يداوموا على مواجهة المشكلات التربوية، والعمل على تحسين وتطوير ممارساتهم المهنية والإلحاح في تجويد نتائج ومردودية تلامذتهم."[5]

علاوة على ذلك، " يكتسب الباحثون الممارسون خبرة ميدانية، ويتملكون كفاءة لمواجهة المشكلات المهنية المستجدة والمستعصية، الأمر الذي يؤدي إلى الفهم الجيد للممارسات المهنية، وفتح إمكانات نقل الخبرة وتقاسمها للاستفادة منها. في هذا السياق [يعد] البحث فرصة لتجربة الأفكار المستخلصة أثناء الممارسة المهنية، على اعتبار أنه وسيلة للتحسين والتطوير والتغيير وزيادة الإنتاج المعرفي.وهناك [من يرى] أن البحث التدخلي فرصة لتحسين الممارسة وإنتاج المعرفة."[6]

ويرى أحمد أوزي أن البحث التدخلي طريقة علمية صالحة لحل المشاكل التربوية والتعليمية التي تطال المنظومة التربوية والتعليمية بمواجهة مختلف التحديات التي يواجهها المتعلمون والمدرسون ورجال الإدارة التربوية. وفي هذا، يقول أحمد أوزي:

" إن البحث التدخلي أو " البحث التنموي" أو " البحث الإجرائي" أو " البحث الفعال"، إلخ، وهي أسماء مختلفة تطلق على هذا المنهج، القاسم المشترك بين كل هذه التسميات هو الجمع في هذا المنهج، بين العمل لفائدة عينة البحث، ودراستها في الوقت نفسه.إنه منهج يكتسي أهمية راهنية وحيوية كبيرة، لأن البحث فيه يتم في الميدان على عينة من المبحوثين، يقوم الباحث خلالها في الوقت نفسه بعمل يخدمهم، فلا يكتفي بإجراء دراسته عليهم، وإنما يستفيدون بدورهم منها، فهو كما قلنا ، منهج يكتسب جدته وأصالته في إستراتيجيته البحثية التشاركية التي تجعل المبحوثين ينخرطون في سيرورة من التأمل المقرون

---

[5] - نفسه، ص:31.

[6] - نفسه، ص:31.

بالعمل، قصد تشجيعهم في مبادرتهم التنظيمية أو التنموية.إنه منهج يُشرك المعنيين ويعتبرهم فاعلين، قادرين على تحديد مشكلاتهم بأنفسهم، واقتراح الأعمال التي تساعدهم على إيجاد الحلول المناسبة لها.وفضلا عن هذا وذاك، فإن المنهج التدخلي، كغيره من المناهج المتطورة، ليس أداة جاهزة الصنع، وإنما هو وسيلة منهجية مرنة، يمكن تكييفها حسب خصوصيات الميدان أو عينة البحث، وبذلك فإنه يتيح للمدرسين وكل الممارسين التربويين دور المشاركة في البحث التربوي وتنمية معارفه، بهدف تحسين أدائهم وجودته.فهو منهج يشرك المعنيين مباشرة، ويعتبرهم فاعلين قادرين على تحديد مشكلاتهم بأنفسهم، واقتراح الأعمال التي تساعد على إيجاد الحلول المناسبة لها."[7]

يُشترط في الباحث مهما كان نوعه، قبل الشروع في كتابة بحثه التربوي التدخلي، أن يعرف مجموعة من المناهج والأدوات والتقنيات والأساليب التي تُستعمل في مجال البحث العلمي. ويعني هذا أن يتمكن من المناهج المستعملة ليستثمرها في جمع المعطيات وقراءتها وتحليلها ومعالجتها بغية تحصيل النتائج العلمية التي تتسم بالثبات، والمصداقية، والمعيارية، والموضوعية، والأصالة، والإبداعية. ومن ثم، فالمنهج هو الطريق السليم الذي يوصلنا إلى الهدف المنشود، وتحصيل الحقيقة اليقينية. ولابد للمنهج من أن ينطلق من مجموعة من الأهداف والغايات، أو ينطلق من فرضيات أساسية تتحول إلى أسئلة وإشكالات جوهرية لتأتي عمليات الاستدلال الحجاجي، بتمثل آلية الاستقراء التي تنطلق من الجزء إلى الكل، أو من الخاص إلى العام، أو الأخذ بآلية الاستنباط التي تنطلق، بدورها، من الكل إلى الجزء، أو من العام إلى الخاص، من خلال اعتماد أساليب التفسير والبرهنة والحجاج، مثل: أسلوب التعريف، وأسلوب الوصف، وأسلوب السرد، وأسلوب التمثيل ، وأسلوب الشرط، وأسلوب المقارنة، وأسلوب التقويم...

---

[7] - انظر: خالد الأندلسي: البحث التدخلي علوم، تنمية، ديمقراطية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة 2013م، ص:4-5.

وعليه، يمكن الحديث عن مجموعة من المناهج التي يمكن الاستهداء بها في كتابة البحث العلمي التدخلي بصفة عامة منها: المنهج التجريبي، والمنهج الوصفي، والمنهج التاريخي، والمنهج المقارن، والمنهج الاجتماعي، والمنهج النفسي، والمنهج البنيوي، والمنهج الببليوغرافي، والمنهج السيميائي، والمنهج المتعدد الاختصاصات، ومنهج تحليل المضمون...

يستعين البحث التدخلي التشاركي بالمناهج الكمية والكيفية على النحو التالي:

أ- المناهج الكمية:

يقصد بالمناهج الكمية (Les méthodes quantitatives) تلك المقاربات الموضوعية المستعملة في البحث العلمي، بالاعتماد على الإبستمولوجيا الوضعية أو مابعد الوضعية، أو استخدام المعطيات الرياضية والفيزيائية والكيميائية والإحصائية. والهدف من ذلك هو وصف الظواهر الثقافية والاجتماعية والقانونية وقياسها وتعدادها وتفسيرها والتنبؤ بها. ويعني هذا أن المناهج الكمية هي مناهج خاضعة للقياس والتجريب والتكميم والاختبارات الموضوعية. ومن ثم، فهي تتنافى مع المناهج الكيفية الذاتية.

إذاً، تُعنى المناهج الكمية بدراسة المجموعات، والمقارنة بين الوحدات ضمن منظور كلي، بالاعتماد على مجموعة من المؤشرات العددية والكمية. أي: تعتمد هذه المناهج على الإحصاء والمعطيات العددية والبيانات الرياضية.

وعلى أي حال، فالمناهج الكمية هي التي تستند إلى العد، والحساب، والقياس، والتكميم، والأرقام، وتمثل الموضوعية في الدراسة، واستعمال البيانات الهندسية والجداول والأشكال والمخططات الرياضية...

ويتوسل الباحث بالدراسات الكمية القائمة على الدراسات الوضعية والعلمية القائمة على التعداد، والقياس، والإحصاء، والرياضيات، والفيزياء، بغية وصف الظواهر التربوية والتعليمية وتفسيرها وتأويلها، واستشراف النتائج المستقبلية اعتمادا على تلك المعطيات العلمية المعطاة. كما يستند المنهج الكمي أيضا إلى التحاليل التجريبية والاستقرائية والاستقصائية ، باستخدام الرياضيات والإحصاء الوصفي

والاستنتاجي ، والاعتماد على استطلاعات الرأي، وتمثل التحليل الديمغرافي والجغرافي، والاستعانة بالجداول والخرائط والأشكال الهندسية والمبيانات والمنحنيات والدوائر وأنصاف الدوائر والأسطوانات القياسية، واستخدام الروائز الاجتماعية القائمة على المعطيات الرقمية والإحصائية،...

وهكذا، فالمناهج الكمية ، في مجال التربية، هي التي تعتمد على العد والقياس واستخدام الأرقام والأشكال الهندسية في معالجة الظواهر الدينية وتفسيرها والتنبؤ بالمستقبل. ومن هنا، يستخدم البحث الكمي اللغة الرقمية، ويرتكز على الحسابات الدقيقة، ويصنف المعطيات، ويحدد خصائص الظاهرة التربوية، ويبني النماذج والبرديغمات الإحصائية لتفسير ما هو ملاحظ ومرصود في الواقع المشخص.

ويمكن تطبيق المناهج الكمية في العلوم الرياضية، والبيولوجية، والطبيعية، والفيزيائية، والكيميائية...؛ لكن يصعب تطبيقها بشكل علمي وموضوعي في مجالات العلوم الإنسانية، مثل: علم النفس، وعلم الاجتماع، والأنتروبولوجيا، وعلم التربية، وغيرها...؛ ويرجع ذلك إلى تداخل الذاتي والموضوعي، وصعوبة التحكم في الوعي، وتغير الظاهرة الإنسانية من حالة إلى أخرى، وهيمنة البعد الإيديولوجي، وارتباط الباحث بالموضوع بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

ب- المناهج الكيفية:

يُقصد بالمناهج الكيفية (Les méthodes qualitatives) تلك المقاربات أو الطرائق البحثية المستخدمة في العلوم الإنسانية،

وإذا كان المنهج الكمي يتميز بالصرامة والتقنين والاستدلالين: الاستنباطي والاستقرائي، فإن المنهج الكيفي يتسم بالمرونة في البحث واختيار الأدوات المناسبة في التشخيص والتحليل والفهم والتفسير والتأويل. وفي هذا، يقول المختار الهراس:

" إذا كان التوجه العام في حقل العلوم الاجتماعية يسند للمناهج الكمية مصداقية أكبر من تلك التي يسندها للمناهج الكيفية ويعتبرها أكثر دقة وعلمية منها، فإن ذلك لا يلغي مساهمة تحليل الكيفي في

تحقيق فهم أعمق للظواهر المدروسة، والنفاذ إلى مجمل الحوافز والتمثلات والاتجاهات التي يتعذر الكشف عنها اعتمادا فقط على لغة الأرقام، وتحليل معاني الأشياء وخصائصها ورموزها عبر الاستعارات المعبرة عنها والأوصاف الكاشفة عن طبيعتها.

وإذا كانت المناهج الكمية أكثر اعتمادا للقياس والحساب، وأوثق ارتباطا بالتطور التكنولوجي الحديث، وأكثر قابلية للمعالجة الإعلامية، وأكثر اختصارا للوقت، وأيسر تخطيطا وتصميما، فإن المناهج الكيفية بالمقابل أكثر تأثيرا في الجهاز المفاهيمي والنظري للعلوم الاجتماعية.[8]"

ومن ناحية أخرى، يمكن أن تستعين الدراسات الكيفية بالمناهج الكمية لتقوية البحث وتعضيده بالاختبارات الكمية والبيانات الرياضية والإحصائية والعددية على السواء...

" وعموما، تستعمل المناهج الكيفية في محاولة فهم الكيفية التي ينظم بها البشر حياتهم ومجالهم الخارجي، ويضفون بها معاني ودلالات على محيطهم عبر ما يعتمدونه من رموز وطقوس ومعتقدات وإيديولوجيات وتمثلات وآراء وأدوار اجتماعية، وما إلى ذلك.[9]"

ويستند المنهج الكيفي إلى مجموعة من الأدوات المقابلة لماهو كمي، مثل: الملاحظة الميدانية، والملاحظة بالمشاركة، والمقابلة المباشرة، والاستبيان، والندوات، وسبر الرأي العام، والمعايشة، وتحليل المضمون، ودراسة الحالة، والملاحظة الميدانية، والمسح الاجتماعي، وتقنية المجموعة البؤرية، والسير الذاتية، وتحليل النصوص الشفوية (أمثال، وحكايات، وأشعار، وأغان، وخرافات، وأساطير، وطقوس...)، والاستعانة بالنصوص المكتوبة (وثائق، وعقود، وتقارير، وأوصاف إثنوغرافية، وكتابات صحفية، وكتب تربوية، وتقارير الرحلات، ومذكرات، ومخطوطات...)، وتحليل الصور والأيقونات والمخططات البصرية...

---

[8] - المختار الهراس: (مقدمة)، المناهج الكيفية في العلوم الاجتماعية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، سلسلة: ندوات ومناظرات رقم 100، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، لطبعة الأولى 2002م، ص:9.

[9]- المختار الهراس: (مقدمة)، ص:10.

وعليه، فلا مناص من استعمال المناهج الكيفية، ولا محيد عن السعي إلى تدقيق تقنياتها، وضبط تطبيقاتها وفقا للشروط المحلية والمجتمعية العامة، وتحسين أساليب معالجة المعطيات الناتجة عن استعمالها، وصولا إلى بلورة طرق ناجعة في تحليلها وتحويلها إلى نص مكتوب تتوافر فيه الشروط المطلوبة.[10]"

ج- التوفيق بين المناهج الكمية والكيفية:

هناك من الباحثين من يفضل الجمع بين المنهج الكمي تارة، وتوظيف المنهج الكيفي تارة أخرى في البحث العلمي نفسه.ومن يتأمل علم الاجتماع - مثلا-، فيجد أن هناك منهجين مهيمنين: منهجا علميا موضوعيا يتكئ على التفسير السببي والعليَ، ومنهجا ذاتيا إنشائيا تأمليا وأخلاقيا وتأويليا يقوم على الفهم. ويعني هذا أن ثنائية الذاتية والموضوعية حاضرة في مجال العلوم الإنسانية بشكل لافت للانتباه. وفي هذا الصدد، يقول إدغار موران(Edgar Morin):

"هناك نمطان من السوسيولوجيا في مجال البحث الاجتماعي: سوسيولوجيا أولى يمكن نعتها بالعلمية، وسوسيولوجيا أخرى يمكن نعتها بالإنشائية.وتعتبر الأولى بمثابة طليعة السوسيولوجيا.في حين، تعتبر الثانية بمثابة المؤخرة التي لم تتحلل، بشكل مناسب، من إسار الفلسفة، ومن المقالة الأدبية، والتأمل الأخلاقي. يستعير النمط الأول من السوسيولوجيا نموذجا علميا كان بالضرورة هو نموذج الفيزياء في القرن التاسع عشر. ولهذا النموذج ملمحان، فهو آلي وحتمي في آن واحد، إذ يتعلق الأمر، في الواقع، بتحديد القوانين والقواعد التي تؤثر، تبعا لعلاقات سببية، خطية ومنتظمة، في موضوع تم عزله، وفي مثل هذا النموذج يتم استبعاد كل مايحيط بالموضوع المدروس من موضوعات أخرى. يضاف إلى ذلك أن هذا الموضوع المدروس يتم تصوره كما لو كان مستقلا استقلالا كليا عن شروط ملاحظته.ولاشك أن مثل هذا

---

[10] - نفسه، ص:9.

التصور يستبعد من الحقل السوسيولوجي كل إمكانية لتصور ذوات أو قوى فاعلة أو مسؤولية الذوات وحريتها.

وعليه، فمن الصعب تطبيق المنهج الكمي على العلوم الإنسانية بصفة مطلقة.لذا، نزاوج، في كثير من الأحيان، بين المناهج الكمية والكيفية.لكن تبقى المناهج الكمية لصيقة بالعلمية والموضوعية والواقعية والوضعية التجريبية. كما أنها أداة لتحقيق اليقين العلمي النسبي أو التقريبي.

ويرى كلود جافو (Claude Javeau) أن المناهج الكمية بعيدة كل البعد عن الملاحظة الواقعية التجريبية، فهي تطرح فرضيات تحمل في طياتها نتائج مسبقة. ويعني هذا أن نتائج المناهج الكمية معروفة مسبقا انطلاقا من الفرضيات التي يستعرضها الباحث في بداية بحثه العلمي؛ وهذا ما يجعل هذه البحوث غير خاضعة بدقة للملاحظة العلمية التجريبية[11].

وبتتبعنا لمجموعة من الدراسات السوسيولوجية والسيكولوجية والتربوية نلاحظ ظاهرة الانتقاء للمناهج الكمية والكيفية في البحث الواحد. ويعني هذا أنه من الصعب تتبع منهج واحد، فلابد من المزاوجة والاستفادة من إيجابيات كل منهج على حدة.

وفي الأخير، يمكن للبحوث التربوية التدخلية الاستفادة من المناهج الكمية القائمة على الإحصاء، والمناهج الكيفية التي تتحرر من التكميم والقياس، بشرط ألا يفصل الباحث ذاته عن المبحوث بأي حال من الأحوال.بمعنى أن يعتمد على المقاربة التشاركية عبر إشراك جميع الفاعلين والمبحوثين في التجربة البحثية، سواء أكانت تلك التجربة كمية أم كيفية.

ثالثا: واقع البحث التربوي:

---

[11]-JAVEAU Claude, *L'enquête par questionnaire, Manuel à l'usage du praticien,* Editions de l'université de Bruxelles, Bruxelles, 1990, p.14.

يعتمد البحث العلمي التربوي على مجموعة من الخطوات المنهجية التشاركية المنظمة من أجل الوصول إلى حقيقة ما، من خلال رصد مشكلة معينة، ومحاولة فهمها وتفسيرها وتأويلها بغية إيجاد الحلول المناسبة لها. ويستوجب البحث العلمي التدخلي اتباع طريقة منظمة في إيراد الأفكار، وتحليلها تحليلا منطقيا وحجاجيا وعلميا من أجل تحصيل النتيجة في أثناء مواجهة الوضعيات البسيطة أو المتوسطة أو المركبة. ومن ثم، يندرج البحث التدخلي، بشكل من الأشكال، ضمن انشغالات البحث العلمي الجاد والرصين، مادام يعتمد على آليات منهجية معينة، ويستعين بأدوات الإحصاء الوصفي والاستنتاجي.

ينقسم البحث التربوي التدخلي منهجيا إلى مقدمة، ومدخل، وعرض، وخاتمة، وملاحق، وفهارس. وبعد ذلك، يمكن تقسيمه بالتفصيل إلى أقسام، وأجزاء، وأبواب، سواء أكانت نظرية أم تطبيقية. ويتجزأ كل قسم إلى أبواب ومجموعة من الفصول، ويتكون كل فصل من مباحث ومطالب وفروع وفقرات وعناصر متسلسلة، ومرتبة ترتيبا منطقيا، ضمن وحدة منهجية عضوية متسقة...، ويأخذ كل جزء من هذه الأجزاء عنوانا محددا بدقة، سواء أكانت جملته بسيطة أم مركبة، بشرط أن يكون العنوان واضحا ودقيقا وهادفا، و ذا صياغة تركيبية سليمة من الناحية اللغوية والنحوية. ولابد أن يختم ذلك البحث بخاتمة عامة مجملة أو مفصلة، ويلحق ببليوغرافيا المصادر والمراجع والدوريات ، ويذيل أيضا بملاحق وفهارس خاصة وعامة.

وغالبا، ما يتضمن البحث التربوي التدخلي الذي ينجزه طلبة الجامعات والمدارس العليا والمراكز االتربوية ملخصا مركزا بالعربية، أو الفرنسية، أو الإنجليزية ... ، وتعقبه مقدمة في شكل تقرير عام، وقسمان، أو بابان، أو فصلان متكاملان: أحدهما نظري، والآخر تطبيقي. وتتبعهما خاتمة، فببليوغرافيا مكتبية موثقة، ثم ملاحق أساسية وثانوية، ثم فهرس عام وشامل.

ومن جهة أخرى، قد يأخذ البحث التدخلي التربوي، على المستوى المنهجي والحجاجي، طابعا استنباطيا، ينطلق من الكل إلى الجزء، أو من العام إلى الخاص، أو يأخذ طابعا استقرائيا، ينطلق من الجزء إلى الكل، أو من الخاص إلى العام.

ولا يمكن الحديث عن بحث تربوي علمي حقيقي إلا إذا أُخضع لمجموعة من المعايير والمؤشرات والخطوات الإجرائية في التنفيذ، كالانطلاق من المشكلة، وتحويلها إلى فكرة حدسية، تصبح - فيما بعد- فرضية، ويمكن تمطيط الفرضية وتوسيعها في شكل إشكالات بارزة، وأسئلة محورية. ثم، تُحدد أهداف البحث وغاياته وأهميته بدقة، بالإشارة إلى الكتابات السابقة في الموضوع، وتحديد منهجية البحث، وتبيان مصطلحاته، واستكشاف متغيراته، وحدوده، وعينته، وأدواته، وتقنياته، وأساليبه الإحصائية.

ويخضع هذا كله لمجموعة من القراءات الرئيسة، كالقراءة الاستكشافية، والقراءة التجميعية، والقراءة الإحصائية، والقراءة التحليلية، والقراءة الاستنتاجية، والقراءة المقارنة، والقراءة التثبتية، والقراءة الاقتراحية والتوقعية، والقراءة المتأنية، والقراءة السريعة، ...

ويعني هذا كله أن البحث التربوي، ولاسيما التجريبي منه، ينطلق من فكرة، وفرضية، لينتقل إلى التجريب بغية تحصيل القوانين والنظريات. ومن ناحية أخرى، يمر البحث التربوي بمجموعة من المراحل المتعاقبة، كمرحلة الاطلاع والقراءة، ومرحلة التجميع والفرز، ومرحلة الفهم والتفسير والتأويل، ومرحلة التنظيم والترتيب، ومرحلة الصياغة النهائية، ومرحلة التصحيح والتقويم، ومرحلة المناقشة، ومرحلة الطبع والنشر[12].

وتأسيسا على ما سبق، هناك من يخلط بين البحث التدخلي والبحث التربوي، حيث يتم التركيز كثيرا على البحث التربوي بشكل نظري أكثر مما هو بحث ميداني تدخلي لحل المشاكل التي يعاني منها المبحوث أو

---

[12] - لؤي عبد الفتاح و زين العابدين حمزاوي: أساسيات في تقنيات ومناهج البحث، مطبوع جامعي، جامعة محمد الأول، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، وجدة، المغرب، السنة الجامعية2010-2011م، ص:54.

المفحوص، أي تكون بحوثا معرفية غير تجريبية وغير علاجية ووقائية، أي يكون البحث من أجل البحث دون أن تسفر عنه نتائج ميدانية يستفيد منها الباحث والمبحوث معا، بمعنى أن ينطلق البحث من تقنية جون ديوي التي تسمى بحل المشكلات بالتوقف عند مشكلة معينة وتشخيص هذه المشكلة والبحث عن أسبابها الذاتية والموضوعية وإيجاد الحلول المناسبة للمعالجة ثم صنع القرار الملائم لهذه الوضعية – المشكلة-

وقد ركز المقرر التوصيفي الرسمي لمجزوءة البحث التربوي [13] على بعض التقنيات دون التقنيات الأخرى كدراسة الحالة ودراسة الصورة والمعايشة والملاحظة وجماعة التركيز وديناميكية الجماعة، كما أغفل المقرر التوصيفي المناهج والمقاربات المستعملة في البحوث التدخلية سواء في الأنثروبولوجيا أم في علم النفس أم في علم الاجتماع أم في علم التربية .

وجدير بالذكر أننا وجدنا مجموعة من البحوث تعتمد على الاستمارة في مناقشة مواضيع لا تتناسب إطلاقا مع الاستمارة فكيف نطبق الاستمارة في هذا الموضوع (صورة المرأة في الكتاب المدرسي بالتعليم الابتدائي) فهذا الموضوع يستوجب أن تطبق تقنية تحليل المضمون . ثم كيف نطبق الاستمارة في هذا الموضوع (صعوبات المتعلم في الإملاء بالتعليم الابتدائي) فهذا الموضوع يستوجب الأخذ بالروائز بدل الاستمارة. فكيف نطبق الاستمارة في موضوع عنوانه (أثر الإعلاميات في التحصيل الدراسي في التعليم الابتدائي) فهذا الموضوع يستلزم الأخذ بالمنهج التجريبي بدل الاستمارة الوصفية. وكيف كذلك تطبيق الاستمارة في موضوع عنوانه(بنية الصورة الرقمية في كتاب القسم السادس بالتعليم الابتدائي) في حين يتطلب الموضوع التسلح بالمقاربة السيميوطيقية في تفكيك الصورة وتركيبها.

رابعا: الانتظارات والتطلعات:

---

[13] توصيف مجزوءة منهجية البحث التدخلي ، الوحدة المركزية لتكوين الأطر ، 2022.

يمكن الإدلاء بمجموعة من الاقتراحات والتوصيات التي يمكن الأخذ بها مستقبلا:

1-تدقيق مفهومي البحث التربوي والبحث التدخلي؛

2-إضافة تقنيات بحثية أخرى كالملاحظة، والمعايشة، ودراسة الصورة، ودراسة الحالة، وجماعة التركيز، والسيرة التربوية للمتعلم.

3-التركيز على المناهج والمقاربات المستخدمة في بناء البحث التدخلي التربوي.

4-ربط التقنيات التربوية بما يتلاءم معها من المواضيع، بدل الاعتماد كثيرا على الاستمارة بشكل مبالغ فيه.

5-تشجيع المنهج التجريبي في إنجاز البحوث التدخلية واعتماد المقارنة بين البدائل التجريبية من أجل التثبت من النتائج بدل الإكثار من البحوث الوصفية.

6-أن ينصب نقاش البحوث التدخلية على المضمون من جهة وعلى المنهج والتقنيات والنتائج المتوصل إليها من جهة أخرى.

7-أن تنصب الوضعية التقويمية والإدماجية على تطبيق التقنيات المنهجية بدلا من التركيز على الجاني المعرفي والنظري.

8-إعداد بنك المعلومات لتخزين المعطيات ونتائج البحوث التربوية، وطبع البحوث التربوية القيمة ونشرها من أجل الاستفادة منها.

9-إنجاز ببليوغرافيات ومونوغرافيات تعنى بفهرسة البحوث التربوية وأرشفتها إعلاميا من أجل الاطلاع عليها من قبل الباحثين.

10-الاهتمام بالمقارنة بين الظواهر التربوية لبلدنا والبلدان الأخرى، مثل المقارنة بين الكتاب المدرسي المغربي والكتاب التونسي. والمقارنة بين مخرجات المدرسة المغربية والمدرسة الأمريكية.

11-توجيه الطلبة والباحثين إلى اختيار المواضيع الجادة ذات الراهنية والمصداقية العلمية كتكليف الباحثين بدراسة المهارات الحياتية، أو دراسة التفكير النقدي، أو الاهتمام بالتصميم الشامل للتعلم، أو

الاعتناء بالتربية الدامجة، أو الاهتمام بتربية التمايز، والتربية الجندرية، وتوظيف التكنولوجيا المعلوماتية.

12-أن تتميز البحوث بالخصوصية الهوياتية والمجالية كأن يرتبط البحث بالمنطقة التي يجرى فيها البحث، نظرا للخصوصيات التي قد تطال هذا البحث التدخلي، مثل دراسة الواقع التربوي في مدينة الدرويش مقارنة بالواقع التربوي بالمنطقة الحضرية بالناظور أو وجدة، فهناك اختلاف في المجال الترابي بشكل واضح وجلي لوجود تفاوت تنموي متباين بين هذه المناطق الثلاث مما ينعكس ذلك على البحث إيجابا أو سلبا.

خاتمة:

وخلاصة القول، يتبين لنا، مما سبق ذكره، أن نجاح العدد التكوينية التي تتعلق بمجزوءة البحث التربوي التدخلي رهين بتطبيق التوصيات والملاحظات والاقتراحات التي ذكرناها من قبل. ويعني هذا أن تجويد المنظومة التربوية لا يمكن أن يتحقق إلا بتجويد مراكز التكوين، وتأهيل الأساتذة المتدربين نظريا وتطبيقيا، وتمهيرهم بمجموعة من المهارات والخبرات الحياتية والتربوية التي تجعلهم يواجهون تحديات الواقع المجتمعي، ومجابهة مختلف الوضعيات والمشاكل التي يتعرض لها الباحثون عند ممارسة عملية البحث الميداني التدخلي من أجل جمع البيانات والمعلومات والمعطيات التي تسعفهم في بناء البحث بطريقة منهجية موضوعية قائمة على تشخيص المشكلة والبحث عن أسبابها الذاتية والموضوعية وإيجاد مختلف الحلول الناجعة واللجوء إلى المعالجة الداخلية والخارجية

يبدو أن علاقة البحث التربوي التدخلي بالبحث النظري كعلاقة النحو بالإعراب. ويعني هذا أن البحث التدخلي الرصين بمثابة دراسة بحثية ميدانية تشاركية تطبيقية بامتياز، تقوم على البراجماتية النفعية، و المعاينة الحقلية، والمشاركة الحية، والفحص الاستكشافي، وملاحظة الظواهر التربوية والتعليمية، وجمع المعطيات والبيانات والمعلومات حول تلك الظواهر التي ينبغي دراستها فهما، وتفسيرا، وتحليلا. وهكذا، يبدو أن البحث التدخلي عبارة عن دراسة نظرية من جهة، وعملية تطبيقية من جهة أخرى، يستفيد منها الباحث و المبحوث والمفحوص على حد سواء . ومن هنا، يوفر البحث التدخلي مادة عليمة تشاركية دسمة للباحث التربوي ليبني فرضياته العلمية، ويطرح إشكالاته المشروعة، ويُقوي نظرياته وتصوراته البحثية بغية إنجاز التغيير المنشود، والعمل الجاد من أجل تحقيق التنمية الشاملة، وخلق بيئة بحثية ديمقراطية يشارك فيها الجميع.

لائحة المراجع والمذكرات والمراسيم المعتمدة في البحث:

- خالد الأندلسي: البحث التدخلي علوم، تنمية، ديمقراطية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة 2013م.

-البحث التربوي التدخلي بين النظرية والتطبيق، جميل حمداوي وهشام ادرحو وبلال داوود، سلسلة ملفات تربوية وتكوينية، تصدر عن المركز المتوسطي للدراسات والأبحاث متخصصة في قضايا التربية والتكوين، رقم 27. الطبعة الأولى 2022، المغرب.

- المختار الهراس: (مقدمة)، المناهج الكيفية في العلوم الاجتماعية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، سلسلة: ندوات ومناظرات رقم 100، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، لطبعة الأولى 2002م.

- لؤي عبد الفتاح و زين العابدين حمزاوي: أساسيات في تقنيات ومناهج البحث، مطبوع جامعي، جامعة محمد الأول، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، وجدة، المغرب، السنة الجامعية2010-2011م.

- محمد عزت حجازي: (الأزمة الراهنة لعلم الاجتماع في الوطن العربي)، نحو علم اجتماع عربي: علم الاجتماع والمشكلات العربية الراهنة، سلسلة كتب المستقبل العربي، العدد7، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية 1989م.

-البحث الإجرائي ، سلسلة المجزوءات المستعرضة لدعم التكوين من أجل تعلم فعال رقم 4 ، إعداد وتجريب: رشيد بوسعيد وخالد الدهيبة. مراجعة وإثراء: عبد القادر الزاكي وميلود أحبدو ، الوحدة المركزية لتكوين الأطر، نونبر 2012.

-التصميم الشامل للتعلم بين النظرية والتطبيق، جميل حمداوي وبلال داوود، دار ركاز للنشر والتوزيع، الأردن،2023.

-الرؤية الاستراتيجية للتربية والتكوين 2015-2030 ، المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي.

-المذكرة الوزارية رقم 179 بتاريخ 23 دجنبر 2009، في موضوع : إرساء بنيات البحث التربوي على مستوى منظومة التربية والتكوين.

-المذكرة رقم 015*19 بتاريخ 04 فبراير 2019 في موضوع: تنظيم البحث العلمي في المجال التربوي بالمراكز الجهوية لمهن التربية والتكوين.

-توصيف مجزوءة منهجية البحث التدخلي بالتعليم الابتدائي، الوحدة المركزية لتكوين الأطر ، 2022.

-دليل المجزوءات المستعرضة ، الوحدة المركزية لتكوين الأطر ، يوليوز 2012.

-مجزوءة البحث التربوي والمشروع الشخصي، الوحدة المركزية لتكوين الأطر ، يوليوز 2012.

-مقرر السيد وزير التربية الوطنية والتكوين المهني والتعليم العالي والبحث العلمي رقم 19-001 الصادر في 9 يناير 2019 بتحديد هياكل البحث العلمي التربوي بالمراكز الجهوية لمهن التربية والتكوين وتنظيمها.

-مناهج النقد الأدبي في فترة ما بعد الحداثة، جميل حمداوي وبلال داوود، دار ركاز للنشر والتوزيع، الأردن،2023.

-مناهج النقد الأدبي من البنية إلى الأسلوب، جميل حمداوي وبلال داوود، دار ركاز للنشر والتوزيع، الأردن،2023.

- Jean Dubost, 1987, *L'intervention psychosociologique*, Paris, PUF.

-Edgar Morin: Sociologie, Fayard, Le Seuil, Points, Essais, 1984.

-JAVEAU Claude, *L'enquête par questionnaire, Manuel à l'usage du praticien,* Editions de l'université de Bruxelles, Bruxelles, 1990.